دير حَنَيْنا

من اعمال دمشق

في التقاليد المسيحية أن حنانيا الرسول هو اول اساقفة دمشق. فلا غرو اذا انتسب اليه احد الاديار في ضواحيها . وقد تصرفوا في لفظ اسمه فقالوا حَنَيْنا بفتح الحاء والنون واسكان الياء. وورد كذلك في الشعر . ولا تزال الى اليوم تُعرف به احدى حارات الباب الشرقي من ابواب المدينة حيث كان منزله. وربما الحقوا في الشعر المدّ بآخره فجعلوه حنينا. وعليه قول الكميت يرثي معاوية بن هشام بن عبد الملك وقد مات عنده:

فايّ فتى دنيا ودين تلمّست بدير حَنيناء المنايا فدُلّتِ
تملّكت الدنيا به ، بعد موته ، وكانت لنا حيناً به قد تملّتِ(١)

وروى البكري ، فيما قيل ، ان الذي رُثي بهذا الشعر هو البطال احد فرسان العرب المشهور بغزوات الروم في ايام الامويين. مات بدير حنينا قافلاً مع معاوية بن هشام من غزوة. فامر معاوية الشعراء برثائه. والصحيح ما اثبتناه. ومما يدلّ عليه ان قبر معاوية بن هشام كان ملجأً معروفاً في الدولة المروانية يستجير به الخائف فيؤمَّن. لمحله من بيت الخلافة. ولما نظم الكميت قصائده الهاشميات وهجا بني امية ، امر الخليفة هشام بن عبد الملك ان يُقطع لسانه ويده. فأخذ وحبس. ثم افلت من السجن متنكراً بثياب امرأته. وقدم دمشق. واستجار بعنبسة ابن سعيد بن العاص. فامره ان يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنينا. وشفع فيه بعض رجالات امية فنجا من القتل(٢).

وقد اهمل ياقوت والبكري والعمري ذكر هذا الدير في جملة الديرات وأشار ياقوت اليه في حرف الحاء. واقتصر على القول انه من اعمال دمشق(٣). وهو

١) معجم ما استعجم للبكري ، ص٢٧٣-٢٧٤
٢) الاغاني ١٥ : ١١٥
٣) معجم البلدان (طبعة اوربة) ٢ : ٣٥٠

شك ان الناحية كلها كانت معروفة باسمه . ولذلك قيل ان معاوية بن هشام قبر فيه . وولده عبد الرحمن بن معاوية هو الامير المعروف بالداخل منشيء الدولة الاموية في الاندلس ، ولد في ناحية الدير سنة ١١٣ للهجرة (٧٣١ م)[1] .

ولا سبيل اليوم الى الاهتداء لمكان هذا الدير وموقع ناحيته . وكان لا يزال معروفاً مقصوداً بالزيارة في اوائل القرن السابع ، في ايام الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم الايوبي . وقد وُفّقنا للعثور على قصيدة من شعر عون الدين بن العجمي الحلبي الكاتب (٦٠٦-٦٥٦ هـ = ١٢٠٩-١٢٥٨ م) في مدح الملك الناصر ذكر فيها ثلاثة من اديار الشام ومنها دير حنينا . ننقل منها ما يأتي ، وغالبه في وصف خمرة الدير :

يا سائقاً يقطع البيداء معتسفاً بضامر لم يكن في سيره وانِ ،
ان جزت بالشام شم تلك البروق ، ولا تعدل - بلغت المنى ! - عن دير مرّان . . .
واعبر بدير حنينا ، واغتنم فرص اللـذات ما بين قيس ومطران .
واستجلِ راحاتها تجبي النفوس اذا دارت براح شامس ورهبان ،
حمراء صفراء بعد المزج ، كم قذفت بشهبها ، من هموم كلّ شيطان !
كم رحتُ في الليل أسقيها ، واشربها حتى انقضى ، وندبي غير ندمان !
سألت توماس ممن كان عاصرها اجاب رمزاً ، ولم يسح بتبيان ،
وقال اخبرني شمعون بقله عن ابن مريم عن موسى بن عمران ،
بانها سفرت بالطور مشرقة انوارها فكنوا عنها بنيران .
وهي المدام التي كانت معتقة من عهد هرمس ، من قبل ابن كنعان .
وهي التي عبدتها فارس ، فكنى عنها بشمس الضحى ، في قوله ، مافي .
سكرت منها فلا صحو ، وجُدتُ بها على التدامى ؛ وليس الشحّ من شاني .
يا صوف امنحها املا ، وانشده ما قيل فيها بترجيع والحان !
حتى تقبل لها اعتابه طرباً وينتشي الكون من اوصاف نشوان .
خير الملوك صلاح الدين ليس له في الجود ثانٍ ، ولا عن جوده ثاني (٢)

ولعل توماس هـذا الذي ذكره كان وقتئذٍ رأس دير حنينا ، ام بالحري متولي بيع الخمر فيه . وقد اطلنا البحث عن شاهد آخر يشير الى هذا الدير وذهبت اتعابنا ادراج الرياح .

١) المقتبس للسفريزي ، خزانة باريس ٢١٣١ ، ص ٥٣
٢) فوات الوفيات للكتبي ١ : ٢٢٥-٢٢٦